ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الجديد في سيرة الآغا المزاري صاحب طلوع سعد السعود 1843– 1897م.

د. فارس كعوان*

Summary: This article attempts to present some unknown aspects of the private life of the author of the manuscript entitled Toulou3 Saad As "So'oud. Agha Ben Ouda El Mazari, who spoke about his life in his manuscript that we know only" A single copy deposited in the museum of Oran, but unfortunately the pages relating to his biography are lacking. Our article proposes a biography of this personality based on some contemporary sources, and we find through them some statements that express the opinions of El Mazari towards different issues.

We have found that this character has played a major role in the French administration service, Through his life, which lasted from 1843 until his death in 1897 served El Mazari positions multiple: Kaid, and the head of a group in a mixed municipality juror Muslims in General Council of the province of Oran, and won a number of honors honorary knight and officer in the Legion of honor and an honorary finally Agha 1894.

El Mazari expresses some of his positions in the meetings of General Council, it has refused to grant Table, Las subsidies for settlers and deprive people of them, as the preoccupation with the people of Sidi Daho area on the annexation of their land to the municipality of rain that are under construction, and as a result their refusal to join their area for a boycott of Sidi Bel Abbes reached.

El Mazari also expressed his position on the issue of insecurity in the province and request French authorities to be more assertive to face the bandits who have been attacks on the farms French farmers and parents.

Among the strange and suspicious attitudes at the same time do the Aga El Mazari bin back in November 12, 1893 the construction of a memorial on the anniversary of the surrender of the tribes Aldoaar and fellowship to the French.
El Mazari also was the support of the French military campaign against Touat, which decided to participate with the Knights of folk and b you Ozarl his loyalty to severe perfidious French, but in spite of all these services, but that after the death in August 1897 papers have been allocated to his obituary just some few lines.

* أستاذ مساعد أ في التاريخ الحديث والمعاصر– قسم التاريخ– كلية العلوم الإنسانية– جامعة سطيف2 محمد لمين دباغين.

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

مقدمة: من بين الصعوبات الكبيرة التي تواجه الباحثين في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر قلة الوثائق والمخطوطات المتعلقة بتراجم العلماء والأعيان لأسباب مختلفة، وحتى المتبقي منها طالته أيدي العابثين، كما حصل مع مخطوط الآغا المزاري المعروف باسم "طلوع سعد السعود" الذي بُتر قسم منه تعرّض فيه مؤلفه لحياته.

ضياع الصفحات الخاصة بترجمة المؤلف: قراءة في الأسباب: بالرجوع إلى بعض الدراسات المؤلفة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لم نجد أي ترجمة للمزاري، وحتى كتاب تعريف الخلف للحفناوي الذي صدر عام 1906م، والذي تضمّن تراجم عدد من العلماء والأعيان لم يُشر للمزاري ولا لمخطوطه مطلقا رغم أنه كان معاصرا له.

والغريب أن كتاب أعيان المغاربة لمارته وإدمون قوفيون (Marthe et Gouvion Edmond) الذي اهتم بترجمة عدد من كبار أعيان الأسر الجزائرية المتعاونة مع الإدارة الاستعمارية لم يذكر أسرة المزاري، رغم شهرتها والخدمات التي قدّمتها للفرنسيين، وهذا أمر غريب، رغم أنه أورد تراجم لبعض أقربائها من أسرة ولد قادي(01) كما ترجم لأسر أخرى في الغرب الجزائري لم تلعب دورا كبيرا كالذي لعبته أسرة المزاري.

وحتى دراسة مارسال بودان (Marcel Bodin) المنشورة سنة 1924 والتي اقتبس فيها صاحبها من مخطوط طلوع سعد السعود لم يتطرق فيها أيضا إلى حياة المزاري(02).

ويؤكد جل الذين حاولوا الترجمة لحياة المزاري أن القسم المبتور من كتابه قد تضمن ترجمة لحياته، وفي هذا الشأن يقول يحي بوعزيز محقق المخطوط: "وقد سجّل المؤلف حياته وسيرته في مخطوطه، خلال تأريخه لرجال المخزن، بعد أن سجّل سيرة والده محمد المزاري، وعمه مصطفى بن إسماعيل، في المقصد الخامس والأخير من مقاصد الكتاب من صفحة 538 إلى صفحة 545، ولكن هذه الصفحات بُترت من المخطوط، ويبدو أن ذلك تم عن عمد وقصد، ولذلك بقيت حياة هذا الرجل ثغرة، ولم نجد حاليا ما يملأها ...".

وقال أيضا: "...تولى المؤلف ابن عودة المزاري وظيفة الآغا للفرنسيين، ولكن لا ندري متى تولى هذه الوظيفة ومتى ولد، ومتى توفي كذلك، والمؤكد أنه توفي بعد عام 1897 وقد يكون عاش إلى مطلع القرن الحالي ولا ندري أيضا أين توفي وأين دفن..."(03).

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو متى بُترت هذه الصفحات الثمانية؟ وما الذي تضمنته حتى تُبتر؟

برجوعنا إلى أقدم دراسة عثرنا عليها استفادت من المخطوط، وهي دراسة إدموند ديستان عن شخصية سيدي الهواري المنشورة في الجريدة الآسيوية عام 1906 نجد أن ديستان يذكر أن مفتي وهران حينذاك، وهو سي علي قد نبّهه لوجود نسخة من مخطوط المزاري المسمى "**طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود**" لمؤلفه **أبو إسماعيل بن عودة الساري بن الحاج محمد المزاري البحثاوي**، وهي النسخة التي حُفظت في متحف Demaght بوهران، وهناك استطاع ديستان الاستفادة منها بعد الحصول على تصريح من محافظ المتحف السيد أوغست موليرا أستاذ اللغة العربية بوهران.

وأهم ما جاء في مقال ديستان هو العبارة التالية الخاصة بالمخطوط: "إن هذا المخطوط المكتوب بخط مغربي جميل به 582 صفحة، **وتنقصه الصفحات من 536 إلى 545**[04].

ومعنى هذا أن مخطوط المزاري الذي أنهاه صاحبه سنة 1890 قد قام بإهدائه إلى متحف وهران، وأن البتر قد حصل بعد ذلك، فهل يُعقل أن يكون المزاري هو من قام ببتر هذه الصفحات التي قد تشير إلى مشاركة الزياني في تأليف قسم من كتابه؟

ذلك احتمال وارد خصوصا أن ما تبقى من الصفحات المبتورة يُقدّم لنا مقاربة عن عملية البتر التي تعرّضت لها صفحات المخطوط المذكورة سابقا، حيث أن فيها اعتراف صريح بأن كاتب المخطوط أو على الأقل جزء منه هو الزياني حيث ورد في الصفحة 546 من المخطوط ما نصه"... وكتب محمد بن يوسف الزياني رحمه الله ورحم أبويه وكافة المؤمنين وأسكن الجميع دار التهاني..."[05]، وحتى العثور على نسخة أخرى تبقى هذه مجرد افتراضات يعوزها الدليل القاطع.

أثار الباحث الفرنسي مارسيل بودان إشكالية نسبة كتاب طلوع سعد السعود للزياني، وذهب إلى القول بأنه كان معروفا لدى فئة عريضة من متعلمي وهران أن كتاب طلوع سعد السعود هو من عمل سي محمد بن يوسف الزياني[06].

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

وقال بودان أن المزاري كان من رجال السيف وليس من رجال العلم[07]ولا علاقة له بالتأليف التاريخي والبحث، وإنما توسط للشيخ محمد بن يوسف الزياني لنيل وظيفة القاضي مقابل تنازل الزياني عن عمله له.

والدليل على ذلك حسب بودان أن الزياني ترك آخر جزء من كتابه دليل الحيران معلقا دون إكماله، وذكر أنه سيتناول فيه الاحتلال الفرنسي "الدولة التاسعة"، ونتج عن ذلك أن كتاب طلوع سعد السعود قد احتوى هذه الدولة التاسعة "الاحتلال الفرنسي"، وكذلك تاريخ الدوابر والزمالة والمخزن[08].

ويضيف بودان أنه من المحتمل أن يكون القسم الأخير فقط، وهو المقصد الخامس من الكتاب من تأليف المزاري، وقدّم أدلة على ذلك، من بينها أن مؤلف هذا الجزء ذكر أن ذلك هو المقصود بالذات "عين المراد" من كل التأليف، ومنها أن الحديث عن العهد الفرنسي أولى بالزياني الذي وعد بذلك في دليل الحيران منه بالمزاري، كما أن الأساليب اللغوية والظروف التاريخية تساعد على نسبة الطلوع في أغلبه إلى الزياني وليس إلى المزاري[09].

وبغض النظر إن كان المزاري رجل السيف والمخزن قد ألّف كل الكتاب أو قسما منه فقط، فإن هذا الرجل الذي كان معروفا ومن عائلة معروفة، قدّمت خدمات كبيرة سواء في عهد الأمير عبد القادر أو عهد الإدارة الاستعمارية، بقي مجهولا ولم تُعرف سوى جوانب ضئيلة من حياته، وهو الأمر الذي قادنا منذ أشهر للبحث عن ترجمة له تكشف لنا عن بعض الجوانب الغامضة من حياته.

من هو الآغا المزاري: استفزنا عدم وجود ترجمة للآغا المزاري رغم شهرته وشهرة عائلته، وقد وقفنا طويلا أمام هذه القضية الشائكة، فهل يُعقل أن لا تكون هناك ترجمة لمؤلف طلوع سعد السعود، وهو الذي احتل منصبا مرموقا لدى الإدارة الفرنسية، ومن المعروف أن الفرنسيين لا يوظفون في المناصب الكبرى إلا الأشخاص المنتمين لعائلات كبيرة، ويعرفون عنهم أدق تفاصيل حياتهم.

من خلال الشجرة النسبية التي أوردها المزاري في كتابه نستطيع أن نستخلص نسبه هكذا:

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

أبو إسماعيل بن عودة بن الحاج محمد المزاري بن قدور الكبير بن إسماعيل بن البشير بن أحمد نجد بن أحمد بحث الذي تنسب له إحدى قبائل المخزن الوهراني وهي البحايثية، وهم من أولاد المسعود من سويد من عرب بني هلال.

ولكن الغريب أن عددا من الذين ترجموا له كانوا يذكرونه خطأ باسم إسماعيل المزاري، وهو اسم ابنه كما ذكر هو في المخطوط، واسم كذلك أحد أفراد أسرته وهو شقيقه الأكبر [10].

ولد بن عودة المزاري سنة 1843[11] بمنزل أبيه في رأس العين قرب وهران، وهي نفس السنة التي قُتل فيها عم والده الجنرال مصطفى بن إسماعيل، وفي شهر ديسمبر من نفس تلك السنة تقاعد والده من وظيفته كآغا بعد مقابلته الماريشال بيجو في وهران، ورجع ثانية للحج ومكث هناك حتى عام 1848[12]، ومعنى هذا أن الحاج المزاري لم ير ابنه بن عودة منذ ميلاده سنة 1843 وحتى بلوغ ابنه سن الخمس سنوات.

نال بن عودة المزاري تعليما تقليديا على يد بعض علماء عصره وعلى رأسهم شيخه محمد بن يوسف الزياني صاحب كتاب دليل الحيران[13]، وتقلّد وظيفا حكوميا في مقاطعة وهران سنة 1868[14].

وفي سنة 1875 عهدت إليه الإدارة الفرنسية بوظيفة قايد في الناحية الغربية[15]، وفي سنة 1884 عُيّن بن عودة المزاري بقرار من الحاكم العام للجزائر لويس تيرمان رئيسا لجماعة في البلدية المختلطة لعين تموشنت مكان سي العربي خليفة الشراقة المتوفى[16].

وظهر اسمه في مجلس عمالة وهران بدءا من سنة 1884[17] ، وكان أخوه إسماعيل قد شغل قبله عضوية هذا المجلس حتى وفاته سنة 1878[18].

كان بن عودة المزاري من المحلفين المسلمين الأعضاء في المجلس العام لمقاطعة وهران رفقة كل من محمد بن داود آغا الدواير بوهران، وعلي ولد قادي قايد فليتة، والحاج بن الدين آغا مستغانم السابق، وأعيد انتخابه مع هؤلاء الأعضاء سنة 1886[19].

ترقى بن عودة المزاري في المناصب وحاز عددا من الأوسمة منها: وسام الفارس سنة 1884 ورُقّي لرتبة ضابط جوقة الشرف في 06 سبتمبر 1893[20]، كما مُنح رتبة آغا شرفي سنة

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

1894، وكان عضوا مساعدا في مجلس مقاطعة وهران ممثلا للأهالي ومساعدا أهليا بأولاد صبّاح بتامزورة التابعة إداريا لبلدية عين تموشنت المختلطة[21].

توفي الآغا المزاري في شهر أوت سنة 1897[22] وله من العمر 54 سنة [23]، وترك ولدين هما: إسماعيل والحسين [24].

وقد نعاه السيد أندري André عند ترأسه للجلسة الافتتاحية للمجلس العام بوهران قائلا: "دعوني أوجه أسفي لنبأ وفاة السيد الآغا المزاري الذي توفي في أوت الفارط، وقد كان لسنوات طويلة محلفا في المجلس العام، وهو ينتمي لعائلة قديمة مخلصة لفرنسا، خدمها هو كذلك بوفاء مطلق"[25].

أسرة المزاري:

والده الحاج محمد المزاري: تُعتبر أسرة المزاري من الأسر الأرستقراطية الكبرى في الغرب الجزائري، فوالده الحاج محمد المزاري (1774- 1862) لعب دورا كبيرا في عهد الأتراك وبداية الاحتلال، فقد انضم إلى المخزن سنة 1790 وكان له من العمر 16 سنة، وحين قامت ثورة درقاوة سنة 1803 حارب محمد المزاري إلى جانب الباي مصطفى بن عبد الله،كما استمر في خدمة المخزن في عهد الباي محمد المقلش سنة 1805م.

ولما تولى من جديد الباي مصطفى قام سنة 1806 بتعيين محمد المزاري في وظيفة سيار أي مختص بالسير من وهران إلى الجزائر رسولا بين الباي وباشا الجزائر، وهي وظيفة هامة وحساسة، وتعد من أعلى الوظائف المخزنية حينها، ثم ترقى ليصبح قائدا على بني مطهر في عهد الباي بوكابوس سنة 1808، وظل في تلك الوظيفة حتى سنة 1817م.

وشارك في مواجهة ثورة التيجاني في عين ماضي ضد الباي حسن سنة 1826، ولما احتل الفرنسيون مدينة وهران تولى المزاري لدى الأمير عبد القادر وظيفة آغا المخزن التي ظل بها حتى سنة 1835 وهي السنة التي قرّر فيها الانضمام للفرنسيين، وتم تعيينه في وظيفة آغا، وفي سنة 1841 ذهب لأداء الحج للمرة الأولى، ولما توفي عمه مصطفى بن إسماعيل سنة 1843 أسندت للحاج محمد المزاري وظيفة قيادة المخزن التي لم يبق فيها طويلا إذ قرر التنازل عنها في ديسمبر من نفس السنة، ثم ذهب مرة ثانية إلى الحجاز وجاور بمكة، ورجع إلى الجزائر سنة

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

1848 واستقر فترة بالعاصمة، وحل بعدها بسهل ملاتة قرب وهران، وفي الأخير استقر بهذه المدينة في بيته مفضلا التقاعد، وكان يتقاضى ستة آلاف فرنك في السنة حتى وفاته في 19 فبراير 1862[26].

وخلف الحاج المزاري خمسة ذكور وثلاث بنات، فأما الذكور فأكبرهم ولده إسماعيل ثم الحاج مصطفى وبن عودة صاحب طلوع سعد السعود واثنين آخرين[27].

عم والده: الجنرال مصطفى بن إسماعيل: ولد مصطفى بن إسماعيل سنة 1769 بالعامرية، وكان قائدا لقبائل المخزن غداة الاحتلال الفرنسي[28]، رشحه محي الدين والد الأمير عبد القادر لقيادة المقاومة، لكنه رفض وقرر الانحياز للفرنسيين في شهر شعبان 1251هـ/ديسمبر 1835م[29]، وقاوم الأمير عبد القادر مقاومة عنيفة حتى أنه فقد يده في إحدى المعارك ضده.

عُين جنرالا في 29 جويلية 1837 نتيجة الخدمات الكبيرة التي قدمها للفرنسيين، وقُتل في أحد المعارك ضد قوات الأمير عبد القادر في 23 مارس 1843 بمنطقة البيوضة بوهران [30].

إسماعيل ولد المزاري شقيق بن عودة المزاري: وجدنا معلومات متناثرة في بعض المصادر الفرنسية تخص هذه الشخصية أي إسماعيل ولد المزاري، وهو الولد البكر للحاج محمد المزاري"[31].

وكان إسماعيل المزاري قد التحق مثل أبيه في خدمة الفرنسيين، حيث وجدناه سنة 1859 يشغل منصب آغا سعيدة، وعضوا في المجلس العام لمقاطعة وهران[32]، وفي سنة 1861 كان إسماعيل هذا ذو مكانة معتبرة بين القادة الأهالي أهّلته لنيل وسام جوقة الشرف سنة 1861، وشغل منصب آغا في كل من تيارت والحشم الشراقة، وزار باريس سنة 1861 وحسبما جاء في جريدة الدستوري الباريسية Le constitutionnel الصادرة بتاريخ الثلاثاء 18 نوفمبر 1861 فقد كان إسماعيل هذا من الشخصيات الهامة التي رُشّحت لمقابلة الإمبراطور نابوليون الثالث في قصره يوم 15 نوفمبر 1861 رفقة عدد من قادة الأهالي من بينهم: سي قدور بلمخفي آغا البرج وعدد من القادة العرب الذين تلقوا تعليمات من وزير الحربية[33].

توفي إسماعيل ولد المزاري في باريس، ونعته جريدة الفيقارو الفرنسية Le Figaro في عددها الصادر يوم الأربعاء 31 جويلية 1878 حيث قالت: "توفي البارحة في فيشي vichy

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

سي إسماعيل ولد المزاري آغا الحشم الشراقة الحائز على وسام جوقة الشرف، والذي ينتمي لأسرة الشهير الجنرال مصطفى بن إسماعيل، وقد تأثر بوفاته عدد من الجزائريين الذين كانوا في باريس، ومنهم ابن عمه ولد قادي الذي انتقل رغم كبر سنه إلى فيشي رفقة كل من بن علي الشريف عضو مجلس عمالة الجزائر والباشاغا بوعلام وآغوات كل من خنشلة وفليتة ولعرابة وتيارت، وسيرُسل النعش إلى وهران"[34].

بعض المواقف السياسية للآغا بن عودة المزاري:

موقفه من بعض قضايا الأهالي: كان بن عودة المزاري عضوا منتخبا في مجلس عمالة وهران، وساهم في بعض النقاشات الدائرة داخله بصفته محلفا مسلما وقائدا لجماعة بعد ذلك، عبر مترجم المجلس حيث لم يكن المزاري يتقن اللغة الفرنسية، وقد لاحظنا أن مواقفه لا تخرج عن نطاق الدفاع عن مصالحه الشخصية، ولم يكن سوى ناقل لبعض آراء الأهالي الذين تولى أمر تمثيلهم، ففي سنة 1884 سجّل المزاري في جلسة المجلس اعتراض أهالي منطقة سيدي دحو على ضم أراضيهم لبلدية لمطر التي هي قيد الإنشاء، ونتيجة لذلك رفضهم ضم منطقتهم لمقاطعة سيدي بلعباس[35].

كما سجّلنا تقديمه اعتراضا في مجلس عمالة وهران بتاريخ 15 أكتوبر 1884 بسبب تقديم المجلس إعانة مالية لأحد المستوطنين ويدعى أنطوان رونو تتراوح بين 300 و500 فرنك مكافئة له على قيامه بإنشاء مزرعة في الجبال وحفر بئر بعمق يتراوح بين 70 و80 مترا، واعتبر المزاري منح هذه المنحة غير قانوني، كما لاحظ عدم وجود أي منحة للأهالي تشجيعا لهم على الأعمال الفلاحية، وهو يعني نفسه، حيث كان من كبار ملاك الأراضي الزراعية في مقاطعة وهران [36].

وفي تسعينيات القرن التاسع عشر تفاقمت مظاهر البؤس بين الأهالي لدرجة جعلت عددا منهم يقوم بالسطو على مزارع المستوطنين وكبار الأعيان من الأهالي والمزاري واحد منهم.

وقد أثيرت منذ أواخر القرن التاسع عشر قضية الأمن في الجزائر، وانتشرت في تلك الأثناء ظاهرة سرقة المواشي من مزارع المستوطنين، وتشير التقارير الفرنسية الصادرة في تلك الفترة أن عدد السرقات قد ارتفع بشكل كبير، وتفاقمت مشكلة اللصوصية والسلب لمزارع المستوطنين،

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

حيث أشار تقرير لأحد إداريي البلديات المختلطة بإقليم قسنطينة إلى تنامي هذه الظاهرة ودقت الإدارة الفرنسية ناقوس الخطر وبدأت الأصوات تتعالى من جانب المستوطنين محذرة من استفحال الظاهرة ومدى خطورتها على تطور الاستيطان وتأثيرها السلبي على صغار الملاك، واقترح أحد المتعاونين من الأهالي وهو المسمى "أ. تونسي"– وهو مترجم عسكري متقاعد وحائز على وسام جوقة الشرف– أن تقوم الإدارة الفرنسية بمنح الأمان لكبار اللصوص والاستعانة بهم من خلال تجنيدهم كشواش وسيقومون هم– في رأيه– بإقناع زملائهم بالإقلاع عن ممارسة اللصوصية وقطع الطريق[37].

وفي سنة 1890 طُرحت مسألة الأمن للنقاش في مجلس مقاطعة وهران، فأبدى المزاري موقفه من القضية واعتبر أن الأمن غير مستتب في المقاطعة، واقترح بن عودة المزاري رفقة محمد بن داود أن يقوم كل قائد دوار بتعيين اثنين من حراس الحقول garde-champêtre بحراسة الدواوير، واحد في الليل والآخر في النهار،حتى تضمن الإدارة الهدوء والسكينة.

كما اقترح المزاري تشكيل وحدات لحراسة الدواوير ليلا، ومنع منح التراخيص للمشبوهين والمتهمين، وفي رأي المزاري ان العدالة يجب ان تكون اكثر صرامة إذ أنه قام شخصيا بالقبض عدة مرات على المتهمين وبعد التحقيق معهم تُوصي السلطات بإطلاق سراحهم بحجة عدم كفاية الأدلة [38].

وكان لابن عودة المزاري أراضي زراعية واسعة قُدّرت مساحتها عام 1894 بحوالي 5000 هكتار كان يدفع عنها مبلغا يُقدّر بخمسة عشر ألف فرنك [39].

وحسب جريدة الحق المدافعة عن مصالح الأهالي[40] فقد كان على الفلاح الذي يملك من 3 إلى 4 سكات محراث دفع 125 فرنك، وأما من يملك بين 2 و3 سكات محراث يتوجب عليه دفع من 75 إلى 100 فرنك ومن يحرث بين 1 و2 سكة يدفع بين 25 و50 فرنك، وحتى من ليس لديه البذور كان ملزما بدفع 5 فرنك للشخص الواحد، وكان الخماسة أيضا ملزمون بدفع 1 فرنك للرأس.

وقد قام المزاري بمراسلة الحاكم العام الفرنسي جول كامبون سنة 1894 ليطلب منه أن يكون "في عون المحتاجين"، وعلّق مراسل جريدة الحق من وهران المدعو الوهراني على ذلك

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

مُشككا في النوايا الحقيقية للمزاري بقوله: "عندما نريد الحصول على أوسمة الشرف أو أي تشريف آخر فإنه يمكننا أن نخدم أنفسنا بطرق أخرى غير تلك التي أساء استعمالها القايد المزاري"[41].

وفي أكتوبر سنة 1894 اختار المجلس العام لمقاطعة وهران المزاري ليكون ضمن لجنة الشؤون المختلفة بعد أن قرر المجلس تشكيل لجان لتسهيل عمل المجلس منها لجنة المالية ولجنة الأشغال العمومية [42].

تشييد المزاري نصب الكرمة بوهران عربونا للصداقة مع الفرنسيين: من بين المواقف الغريبة والمريبة في الآن ذاته قيام الآغا المزاري بن عودة بتشييد نصب تذكاري في ذكرى استسلام قبائل الدواير والزمالة للفرنسيين في 16 جوان 1835[43]، وهي التي قال عنها المزاري في كتابه إن "الجنرال تريزيل نزل في قوة قدرها 2440 مقاتل ونزل عشية بالكرمة على مسافة اثني عشر كيلومترا من وهران فاجتمع بها بكبراء الدواير والزمالة، وأذعنوا له بالطاعة واتفقوا معه على اثني عشر شرطا"، وكان ذلك في 19 صفر 1251هـ/16 جوان 1856م[44].

والنصب المقام عبارة عن هرم بسيط شُيّد بالحجارة البيضاء علوه ثلاثة أمتار ويحمل تاريخ 11 نوفمبر 1893، كما يحمل أسماء كل من الحاكم العام جول كامبون وعامل(Prefet) وهران مالهيرب ورئيس بلدية فالمي(الكرمة)، وهناك نقيشة تفيد أن النصب شيد من طرف القايد مزاري بن عودة ضابط جوقة الشرف وابن أخ الجنرال مصطفى بن إسماعيل[45].

وقد أقام المزاري حفلا ضخما بهذه المناسبة انفق عليه من ماله الخاص ورافقته موسيقى الجوقة الأجنبية التي أدتها فرقة قدمت من بلعباس، جلبت لها عددا كبيرا من الأهالي والأوروبيين ونُصب 200 مقعد ليجلس فيها الأعيان وصفوة المجتمع من الفرنسيين وقادة الأهالي[46].

جاء في إحدى الجرائد المعاصرة وهي جريدة الزمن le Temps وصف دقيق لهذا الحفل حيث قالت: إن النّصب وُضع منتصف نهار يوم 12 نوفمبر 1893 وسط حضور حشد كبير من الأهلي الذين قدموا من نقاط مختلفة من المقاطعة ومن سكان وهران، ولما وصل الحاكم العام جول كامبون تم استقباله بإطلاق خمسة وعشرين طلقة مدفع ترحيبا به.

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

وقالت الصحيفة أن الحاكم العام جول كامبون وصل إلى محطة Valmy، وتوجه الى النصب وكان إلى جانبه كل من السيد محافظ وهران والأمين العام للمحافظة والمستشارين العامين وقس وهران والجنرالات بواثار ومتزيغر وقيادة الأركان للأميرال ساندروز ولاموري، وكان في الموكب عدد كبير من الضباط والقياد، كما حضر الحفل محافظ مدينة الجزائر والسيد إميل ماسكراي مدير مدرسة الآداب بالجزائر.

وبعد الترحيب قام القايد المزاري بقراءة خطاب باللغة العربية تولى ترجمته للفرنسية أحد الأهالي ممن يحذقون هذه اللغة، ونوّه المزاري في خطابه بالذكرى التي يعنيها ذلك النصب وهي معاهدة 16 جوان 1835 بين الفرنسيين وقبائل الدوابر والزمالة، وأضاف المزاري أنه برفع هذا النصب تم التذكير بروابط الصداقة القوية التي تربطه وأعوانه مع الفرنسيين، وختم خطابه بتحية فرنسا."[47].

موقفه من الحملة الفرنسية على توات: منذ سنة 1891 بدأ الفرنسيون يحضرون لاحتلال منطقة توات انطلاقا من منطقة عين الصفراء، وكانت عمليات التحضير تستدعي عددا من قادة الأهالي للزج بهم في هذه الحرب، وفي سنة 1896 أثيرت مسألة احتلال توات من جديد وجاء في ديباجة هذا المشروع ان الهدف المحدد لهذه العملية العسكرية هو التعرف على المنطقة وإخضاعها وتنصيب ممثلين للسلطات الفرنسية بها وإنشاء قوة عسكرية كافية لدعم سلطتهم [48].

وقد أبدى المزاري تشجيعه لهذه الحملة العسكرية كما قرّر المشاركة مع عدد من فرسان القوم فيها وهو الأمر الذي أشادت به السلطات الفرنسية وبعض الجرائد المعاصرة ونتج عنه منح المزاري رتبة آغا شرفي وهي أعلى رتبة يحصل عليها القادة الأهالي في ذلك الوقت[49].

خاتمة: رغم المكانة الهامة التي تبوأها الآغا بن عودة المزاري ورغم الخدمات الهامة التي قدمها هو وأسرته للإدارة الاستعمارية، وهي الخدمات التي مكنتهم من القضاء على كل أشكال الممانعة لدى المجتمع الجزائري، إلا أنهم لم يفردوا إلا أسطرا قليلة لنعيه، وحتى جريدة المبشر لسان حال الحكومة العامة في الجزائر لم تكتب له تأبينا، وكأن الإدارة الفرنسية كانت قد قضت

ردمد ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: 2014– 1156 Depot Légal

وطرها من المزاري وأمثاله وصولا إلى تحقيق حلم المستوطنين في الاستقلال المالي عن الوطن الأم وهو ما حصل سنة 1900.

الهوامش:

1-Gouvion, M et E : Kitab Aâyane el Marhariba, département d'Oran, Alger, Fontana 1920, pp 61-72.

2- Marcel Bodin : « La brève chronique du Bey Hasan, extraite et traduite de la Tal'at-os-Sa'd-As-"So'oud de Mazari »,in B.S.G.A.O, n '44,année 1924, p 25-26.

3-يحي بوعزيز: مقدمة تحقيق كتاب طلوع سعد السعود، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ج1، ص 7.

4–Edmond Destaing: « Un saint musulman au XV siècles; Sidi Mhammed El Houari, in J. A, sept-oct 1906, p 305 .

5- ابن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، تح: يحي بوعزيز ،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ج2، ص 294.

6- Marcel Bodin : Op.cit., p 26.

7–لا يعني انتماء المزاري لأهل المخزن بعده عن التأليف التاريخي،فهذا أحد أفراد عائلته أحمد ولد قادي البحثاوي باشاغا فرندة وأحد أعيان هذه القبائل المخزنية الشهيرة في غرب البلاد، والضابط الكبير في جوقة الشرف، يؤلف كتابا في تاريخ الدوابر والزمالة، ويطبعه في وهران سنة 1884، وهذا بوعزيز بن قانة شيخ العرب يؤلف كتابا تاريخيا حول أسرته وينشره سنة 1930 حول تآليف هؤلاء أنظر: فارس كعوان: المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة قسنطينة،2012، ص 178، 254 .

8- Marcel Bodin : Op.cit., p 26.--9- Ibid : p 26- 27.--10- Ibid : p 28.

11–استنتجنا تاريخ ميلاده من تأبين إحدى المجلات له والتي ذكرت أنه توفي عام 1897 عن عمر يناهز الأربعة وخمسين عاما، أنظر:

- Questions diplomatiques et coloniales, revue 1897, p 246-247

12–ابن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، تح: يحي بوعزيز ،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ج2، ص 294،وتذكر بعض المصادر أن الحاج محمد المزاري كان عضوا في المكتب العربي بوهران المشكّل من : سي محمد بن أحمد خوجة المكتب، والسيد Lobeau المترجم العسكري من الدرجة الثانية في الإدارة والسيد الحاج محمد المزاري الآغا السابق لمخزن وهران،والرائد Chanzy مدير قسم الشؤون العربية لمقاطعة وهران، والنقيب Loliot الملحق بإدارة الشؤون العربية، أنظر:

-Felix-Jacques-Antoine Moulin :L'Algérie photographié :province d'Oran, Oran 1856-1857, vue 16.

13- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 384.

14–Journal officiel de la république française, 06 septembre ,1893 p 4553.

15-Questions diplomatiques et coloniales, revue 1897, p 247 .--16 -Conseil général du département d'Oran: Session d'octobre 1884, Imprimerie de l'association ouvrière D.Heintz, Oran, 1884, p 08.--17-Ibid, p 06.--18-Conseil général du département d'Oran: Session de 1859-1860, Imprimerie de l'association ouvrière D.Heintz, Oran, 1859-1860, p 17.--19-L'Avenir de Bel Abbes,n' 370, samedi 02 octobre 1886, p 05.--20-Journal officiel de la république française, 06 septembre ,1893 p 4553. --21- Questions diplomatiques et coloniales, revue 1897, p --22- Le Progrès de Bel Abbes , samedi 09 octobre 1897, p 01.--23-Questions diplomatiques et coloniales, revue 1897, p 247 .

24- ابن عودة المزاري: المصدر السابق، ج 2، ص 294.

25-L'Avenir de Bel Abbes,n' 370 , samedi 02 octobre 1886, p 05.

ردمد ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: 2014– 1156 Depot Légal

26– ابن عودة المزاري: المصدر السابق، ج 2، ص 294.--27– ابن عودة المزاري: المصدر السابق، ج 2، ص 294.

28– Lespes, R : Les troupes indigènes de l'Algerie au service de la France, Alger, Imp Minerva 1941, p 10.

29–ابن عودة المزاري: المصدر السابق، ج 2، ص 294.

30– Lespes, R : Opcit, p 10.

31–ابن عودة المزاري: المصدر السابق، ج 2، ص 294.

32–Conseil général du département d'Oran: Session de 1859-1860, Imprimerie de l'association ouvrière D.Heintz, Oran, 1859-1860, p 17.--33–Le constitutionnel , mardi 18 novembre 1861 , p 2.––34–Le Figaro, mercredi 31 juillet 1878 , p 2.--35-3Conseil général du département d'Oran: Session d'octobre 1884, Imprimerie de l'association ouvrière D.Heintz, Oran, 1884, p 109.--36– Ibid, p 100.

37– انظر:

Un administrateur de commune mixte : Op.cit, p8.--
Un vieil algérien : L'insécurité en Algérie, Alger, imprimerie L.Remordet, p11.

38– Le Progrès de Bel Abbes , n' 1024, 09 dimanche 08 octobre 1897, p 04.

39– El Hack, deuxième année, n'17, dimanche21 janvier 1894, p 02.

40–جريدة الحق العنابية صدر عددها الأول بالفرنسية في 30 جويلية 1893 وكانت أسبوعية، توقفت في عددها الخامس عشر بسبب ضغط يهود الجزائر ثم عادت للظهور من جديد في عددها السادس عشر في 14 جانفي 1894 لتصدر هذه المرة باللغتين العربية والفرنسية، انظر حولها: محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 الى 1954، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص 53.

41– El Hack, deuxième année, n'17, dimanche21 janvier 1894, p 02.--42-Conseil général du département d'Oran: Session ordinaire d'octobre 1894, Imprimerie Eug Prim, Mostaghnem, 1894, p 14.--43– El Hack, deuxième année, n'17, dimanche 21 janvier 1894, p 02.

44–انظر: ابن عودة المزاري: المصدر السابق، ج 2، ص 132.

45– Le Petit parsien, lundi 13 novembre 1893.––46– Journal des débats politiques et littéraires, dimanche 12 novembre 1893.--47–Le Temps, n' 11859, lundi 13 novembre 1893 .

48–محمد أعفيف:توات، مساهمة في دراسة مجتمع الواحات وتاريخها،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط، 2014، ص 288.

49–Questions diplomatiques et coloniales, revue 1897, p 246-247